11–المحاضرة الحادية عشر

مشكلات ابستمولوجية في علم اللّغة واللسانيات

علم اللّغة أو اللسانيات أو اللّغويات، كلها دراسة لموضوع واحد وهو اللّغة.

اكتمل علم اللّغة الحديث بشكل واضح، في بداية القرن 20 بعد تفكير وبحث مطول حول البُنيَة الداخلية للّغات، والعمل على توسيع مجال هذا العلم، وذلك من خلال الاهتمام بالخصائص المختلفة للّغة. يعتبر العلِم اللّغوي السويسري فرديناند دي سوسير Ferdinand De Saussure (1857-1913) بمثابة المؤسس لعلم اللّغة، وصاحب النظرية البنيوية الحديثة في اللسانيات، إلا أن التفكير حول اللغة أقدم من ذلك بكثير[1].

من المفاهيم القريبة من اللسانيات، فقه اللّغة أو الفيلولوجيا La philologie من اللاتينية Philologia أي محبة الكلمات ، والرسائل والأدب. إهتم الإغريق باللّغة لاستعمالاتها في الأدب و الخطاب والشعر، وهذا ما نلاحظه في مجازات أرسطو.

أما في القرون الوسطى، فإن قواعد لغة التفكير تَعْتَبِرْ اللّغة بمثابة مرآة للجواهر الأزلية. بينما في القرن 18، فإن قواعد اللّغة لمدرسة بورت رويال[2] Port Royal من خلال مؤلفات: ارنولد أنطوان Arnauld Antoine (1612-1694) وكلود لانسلو Claud Lancelot (1615-1695) اللاهوتيان الفرنسيان، Grammaire générale et raisonnée قواعد اللّغة العامة والمنطقية 1660 واللذان يبحثان فيه عن الأسس المنطقية للّغة، وذلك بتحليل المعاني. كما أنهما يعتقدان، باعتبارهما متدينان، أن الإله يظهر من وراء اللّغة. أما في القرن 19، انفصل علم اللّغة عن الفكر اللاهوتي، وتبنى مفهوما حيويا مثلما اقترح ذلك الفيلسوف واللّغوي الألماني وليام هامبولت Wilhelm Von Humboldt (1767-1935). ومعنى ذلك أن كل لغة هي بمثابة عضوية حية، تحمة قدراتها الخاصة على التحول والتغيّر. وينظر إلى هذه الفكرة على أنها من تأثير العلوم الطبيعية، وأعمال داروين، وكارل فون لينيه Linné. ومنها أخذ علماء اللّغة نموذج تطبيق اللّغات في شكل شجرة جنيالوجية، لذلك عرف القرن 19، إعادة رسم تاريخ اللّغات وتصنيفها إلى عائلات.

---

1 Cours de linguistique générale 1915

2 مقر الحكومة البريطانية في جمايكا

–الثورة السوسرية: نسبة لدي سوسير

في سنة 1916 أحدث كتاب دروس فسعلم اللّغة العام ثورة في مجال علم اللّغة واللسانيات، بالرغم من أنه لم يكتب من طرف صاحبه. يقدم هذا الكتاب، اللّغة كنظام مؤطر (بناء منظم)، يعمل على توضيح الفروقات المزدوجة للتفرعات الثنائية المشهورة:

- التزامن/عدم التزامن Synchronie/Diachronie
- الدال/المدلول Signifiant/Signifié
- اللّغة/ الكلام Langue/parole

امتد تأثير نظرية دي سوسير إلى تيارات ومدارس متعددة، مثل مدرسة براغ Prague، كوبنهاغن Copenhague، وكذا علم النفس الوظيفي.

– التيارات الكبرى:

- مدرسة براغ
- مدرسة كوبنهاغن
- علم النفس الوظيفي
- علم اللّغة التوليدي
- علم اللّغة المعرفي
- التيار النفسي البياني

– علم اللّغة واللّسانيات:

من الصعب التمييز بين علم اللّغة واللّسانيات، يبقى أن هذه الأخيرة (**اللّسانيات**): ترتبط بدراسة اللّغة، إلا أن بعض التيارات أَدْخَلَتْ شيئا فشيء بعض المواضيع الخارجة عن مجال اللّغة، مثل: الحركات، تعابير الوجه، المظهر (طريقة اللباس)، وغيرها). كما ظهرت بعض التيارات الجديدة منها: البراغماتية، السيميائية (واليوم مثل سيميائية الصورة)، وكل هذه تحولت إلى مواضيع يمكن البحث فيها، واعداد أطروحات جامعية.

من فروع اللسانيات:

1- اللسانيات الوصفية وتضم:

– أنثروبولوجيا اللغة – فلسفة اللغة – علم الاجتماع اللغوي – تاريخ اللّغات –اللسانيات المقارنة.

2– اللسانيات التطبيقية وتضم الفروع التالية:

– تعليمية اللّغة – علم النفس اللغوي – اللسانيات العصبية.

3– اللسانيات النظرية:

– الصوتيات (علم الصوات الكلامية) – النطقيات – المورفولوجيا – علم المعاجم – علم النحو والإعراب – علم المعنى أو علم الدلالة – علم العلامات.

أما علم اللّغة: فهو أوسع، ويضم مقاربات أخرى، مثل التفكير في اللّغة من أصل نفساني، أو سيبرنائي، أو العلوم العصبية، حول مسائل الذكاء الاصطناعي، والترجمة الأوتوماتيكية، أو التعرف على الصوت وغيرها.

من كل هذا يمكن استنتاج، أن مجال هذا العلم (علم اللّغة)، يبقى مقترنا بالعلوم الإنسانية التي لازالت تعاني من نقائص تحول دون بلوغ الدرجة العلمية المطلوبة من دقة وموضوعية، ويمكن توضيح ذلك من خلال مبحث فلسفة اللّغة.

– فلسفة اللّغة[3]:

هي مجموعة ملاحظات الفلاسفة حول اللّغة، وهي عبارة عن تحليلات تقنية مكوّنة ابتداء من صور منطقية . وهي كذلك تقييم لدور اللّغة العادية. وهي كذلك عبارة عن تمثلات مُشكّلة من معارف وضعية تتخذ اللّغة كموضوع.

ما نلاحظه، هو أن فلسفة اللّغة، هي مجموعة من الأفكار ذات أصول متنوعة، وهذا ما يجعل منها المجال الأصعب والأهم في الفلسفة. باختصار، إن المسألة الأساسية في فلسفة اللّغة، تتعلق أكثر بما يجعل منها خاصية إنسانية، وطبيعتها العقلية.

لا شك أن كل حقل من حقول تجاربنا، يُعد موضوعا في البنايات النظرية (في بناء النظريات)، أو ما ينكن أن نطلق عليه اسم "علوم"، وهذا ما ينجم عنه إشكالات فلسفية معقدة مثل:

– مشكلة النهايات بالنسبة للرياضيات.

– البناء المطلق في المادة بالنسبة للعلوم الطبيعية (الفيزياء).

– طبيعة الحياة بالنسبة للبيولوجيا.

---

3 Sylvain Auroux, La philosophie du langage, Paris, puf, 1998.

– الحرية بالنسبة للقانون والأخلاق.

بالنسبة للّغة، هناك نوعية (صورتين) من المشكلات:

الأولى: تتعلق بطبيعة المعنى، والسؤال فيها: أي نوع من الطبيعة لمعنى الكلمة أو الجملة (العبارة)؟، ما هو أصل كون اللّغة تدل (أي لها دلالة)؟.

الثانية: تتعلق بالكونية (العالمية) بمعنى، حين أتكلم، كيف يمكن أن يفهمني الآخر، والأكثر من هذا تترجم لغتي إلى لغة أخرى غيرها؟ من الواضح أن هذه الأسئلة كلها تتعلق بالبحث في طبيعة الفكر.

من هنا، يمكن القول، إذا دققنا النظر في المسألة يمكن القول:

– أن اللانهائي هو المفتاح الميتافيزيقي للرياضيات.

– وأن الكونية والعالمية، هي مفتاح علوم اللّغة.

فإذا كانت فلسفة العدد تقتضي العلم بموضوع الحساب، وأن فلسفة الطبيعة، تم تعويضها بفلسفة الفيزياء، فهذا لا يصدق على اللّغة، بحيث لا يمكن اختزال فلسفة اللّغة إلى فلسفة علوم اللّغة، وهذا راجع إلى كون الكثير من الفلاسفة ليس لديهم دراية بالمسألة، وهذا للأسباب التالية:

1– كل واحد فينا يجد نفسه غارقا في لغته، مثلما هو غارق ومنسجم مع وسطه الطبيعي الذي يتحكم بوجوده وبإنسانياته في هذا العالم، وطبعا، ما ينجم عنه تمثيلا تلقائيا لطبيعة اللّغة في الغالب تميل إلى المعارف الأولى (الابتدائية)، التي يكتسبها الجميع من المدرسة، ثم من السفسطائيين، مرورا بمعارضة أرسطو لهم. كما أن اللغة العادية واليومية في المعرفة والتواصل، تبيّن أنها محفوفة بخطر مسألة المبهم السيميائي.

إن هذه الانتقادات أثيرت حديثا بوضوح بعد تطور المصطلحات العلمية، وظهور فكرة إعادة تشكيل لغتنا العادية اليومية، المبهمة وغير الدقيقة، وتكييفها مع العلوم، وهذا ما اشار إليه كل من دافيد هيوم وجون لوك.

2– محاولة الإجابة عن أصل اللّغة: هل هي معطى طبيعي، أم أنها نتيجة تواطؤ، أم أنها من الله، تعدد وتنوع الاجابات.

3– مشكلة العلاقة بين الدال والمدلول، والعلاقة بين الفكر واللّغة، أيهنا يصنع الآخر، وغيرها من المسائل التي تجعل من اللسانيات لا ترتقي إلى درجة العلمية.

مراجع المحاضرة:

1 Cours de linguistique générale 1915

2 مقر الحكومة البريطانية في جمايكا

3 Sylvain Auroux, La philosophie du langage, Paris, puf, 1998.